

خطبتا صلاة عيد الفطر المبارك 1444 في مكتب سماحة المرجع الديني الشيخ محمد
اليعقوبي دام ظلّه



خطبتا صلاة عيد الفطر المبارك 1444

بسمه تعالى

غرة شوال 1444

الموافق 22-4-2023

أقام سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه) صلاة عيد الفطر المبارك بمكتبه في النجف

الاشرف، والقى سماحتهُ خطبتي صلاة العيد على جموع المؤمنين الذين وفدوا لزيارة الامام أمير المؤمنين (عليه السلام)، وكانت الخطبتان من قبسات الآية الكريمة 195 من سورة البقرة {وَآنزَفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلَاقُوا بِرَأْيِكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}.

وبيّن سماحتهُ خلال الخطبتين ان الله سبحانه وتعالى أمر بالإنفاق في سبيل الله.. وان السبل الموصلة والمقربة اليه جل وعلا كثيرة، ولا يختص الامر الإلهي بمورد سياق الآية الكريمة.. فالآيات الكريمة الآمرة بالإنفاق كثيرة ومتنوعة بعضها جاءت مقترنة بالترغيب في الإنفاق وما فيه من خير الدنيا والآخرة وبعضها بيّنت سوء عاقبة المتخلفين عن الإنفاق.. أو انها جاءت في سياق الدخول في أعماق النفس الإنسانية واقناعها بالإنفاق وبعده أساليب، كالوعد بأن الله تعالى يخلف على الانسان ما ينفقه في سبيل الله وله أجر ما أنفق {وَمَا أَنفَقُوا نَفَقَتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} (سبأ: 39).

وأوضح سماحته ان للإنفاق موارد كثيرة لا تقتصر على المال فمن موارده الأخرى:

1. العلم النافع في سائر حقول المعرفة والفنون والتجارب قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): (تعلموا العلم فإن تعلمه حسنة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة) ([1])، وقال (صلى الله عليه وآله): (تصدقوا على أحيكم بعلم يرشده ورأي يسدده)

2- الأخلاق الحسنة ومعاشرة الناس بالمعروف، قال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الرِّعَافُونَ} (البقرة: 219) بناءً على أن معنى العفو هنا هو الصفح، و في الحديث النبوي الشريف (يا أبا ذر الكلمة الطيبة صدقة) ([2]).

3- الجاه والمكانة الاجتماعية: فيستطيع الإنسان الوجيه أن يسعى بوجهته لدى الناس لقضاء الحوائج وتيسير الأمور وإصلاح المتخاصمين فقد ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (أفضل الشفاعات أن تشفع بين اثنين في نكاح حتى يجمع الله بينهما) ([3])، وفي حديث آخر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): (إصلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصوم) ([4]).

4- بذل النفس في سبيل الله وهي أكمل درجات الإنفاق، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (فوق كل ذي برٍّ برٌّ حتى يقتل في سبيل الله فإذا قتل في سبيل الله فليس فوقه بر) ([5]) ونظم الشاعر هذا المعنى بقوله:

يجود بالنفس إن ضلَّ الجواد بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وغير ذلك من موارد الإنفاق كالوقت والراحة والجهد وأي شيء يمكن أن يتحول إلى عمل مثمر.

وفي الخطبة الثانية تطرق سماحته (دام ظله) إلى بيان معنى التهلكة الوارد في الآية الكريمة ومغبة عدم الإنفاق الذي سيؤدي إلى الهلاك وإن (الملقى) هو مطلق شامل لأنفسكم كأفراد وللمجتمع ككل، ويشمل قوتكم وكيانكم وتقديركم وحضارتكم وأخلاقكم وعلاقاتكم ونظامكم وحتى دينكم، إن لم تنفقوا في ما يتطلبه حفظ كل ذلك من مال وجهد وفكر ووقت وطاقة وإمكانية قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ (الأنفال: 60)، لذا فإن الشعوب الكسولة الخاملة التي تركت ما يجب عليها من الإنفاق المناسب تستعبد وتتخلف وتصادر خيراتها وتمتحن كرامتها وتخسر أضعاف ما بخلت به، قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّادِّينَ كَفَرُوا وَيُذْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُذْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيَّهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالسَّادِّينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال: 36) ([6]).

وأشار سماحته إلى أن (التهلكة) المقصودة في الآية الكريمة يمكن تصورها من عدة جهات:

1- دينية وأخلاقية فإن البخل يميئ روح الإنسانية لدى الغني ويمسح فطرته، بالمقابل فإن الفقير الذي لا يجد من يوفّر له ولعِياله القوت يتخلى عن إيمانه ويسلك الطرق المنحرفة والمحرمة، وكم من امرأة تخلت عن عفتها وحياتها لكسبها مدعيه أن الحاجة ألجأتها إلى ذلك، وقد اشتهرت كلمة أمير المؤمنين (عليه السلام): (كاد الفقر أن يكون كفراً) ([7]) وإن كثيراً من الجياع لما تتحدث لهم عن ضرورة الالتزام بالدين فإنه يطالبك بإشباع بطنه أولاً، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (بارك لنا في الخبز ولا تفرق بيننا وبينه فلولا الخبز ما صلينا ولا صمنا ولا أدبنا فرائض ربنا) ([8]) وقد اشتهرت الكلمة (لولا الخبز لما عبده الله تعالى).

2- اقتصادية: فإن وجود طبقة فقيرة لا تمتلك المال لشراء احتياجاتها يؤدي إلى كساد السوق فإذا أنفق الموسرون عليهم فإن هؤلاء سيحرقون السوق والمصانع والتجارة ويعود بالنفع على أصحاب المعامل والتجار أنفسهم.

3- سياسية: فإن من أهم وسائل إخضاع الأفراد والشعوب والدول هو تجويعهم وفرض الحصار عليهم فتضطر الدول المحاصرة إلى التنازل عن سيادتها واستقلالها وكرامتها وترضى بالتبعية والذل والخضوع من أجل الحصول على المساعدات الموعودة وتجارب دول العالم الثالث كما يسمونها كثيرة وشعارهم في ذلك المثل القائل (جوِّع كلبك يتبعك).

4- أيديولوجية: فقد استعمل الإنفاق المالي لتبديل أفكار الناس وقناعاتهم كالذي يفعله المبعوثون المسيحيون أو ما يبذله المرشحون في الانتخابات لكسب أصوات الناس مع علمهم بفساد المرشح وعدم أهليته، ولو وجد هؤلاء الناس ما يفهم لما اضطروا إلى تبديل عقائدهم والعمل على خلاف قناعاتهم.

5- أمنية واجتماعية: فإن المحرومين من حقوق الحياة الأساسية يصبحون قنابل موقوتة في المجتمع جاهزة للانفجار في أي لحظة حينما يفقدون الصبر على حالتهم التعيسة وإن التمايز الطبقي ووجود طبقة ثرية مترفة مقابل طبقة محرومة ومن أكثر أدوات الحرب الناعمة اليوم فاعلية من خلال هذه الطبقة وتوزيع الأموال عليهم لتأجيج الشارع بهم واتخاذهم وقوداً في الفتن والحروب الأهلية وإحداث الخراب والدمار، وأمثلتها من الواقع العراقي ليست بعيدة.

وبهذا عُرِف وجه الاتيان بهذا التحذير عقب الامر بالإنفاق للملازمة بينهما واتضح انسجام وقوع الآيه ضمن سياق الامر بالقتال لحفظ الدين ومنع وقوع الناس في الفتنة والفساد والانحراف.. فأن امتناع الامه عن بذل المال والجهد والنفس يؤدي الى اضمحلالها وتسلب الأعداء عليها وسيطرتهم على مقدراتها.. ففي هذا الانفاق إنقاذ للامة من التهلكة وليس العكس. ثم بيّن سماحتُهُ ان حركة الامام الحسين (عليه السلام) كانت من أجل مصاديق الانفاق في سبيل الله لأنه حفظ الامه من التهلكة والضياع بتصحياته الجسيمة.

وفي ختام خطبته أوضح سماحتُهُ المعنى الذي ورد في ذيل الآيه الشريفة وهو الاحسان {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي إِنِّي كَرِهْتُ لِقَاءَ الْفَاسِقِ أَذْ ذَا يَأْتِيَنَّكَ عَنَّهُمُ مِنَ الْفَوَاحِشِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُجْرِمُونَ} (البقرة: 195) فالمطلوب منّا تحسين العمل والإتيان به بأحسن وجه، وليس العمل مجرداً لأن التفاوت في الدرجات يكون بحسب حسن العمل قال تعالى: {لِيَبْلُوَكُمْ فِي أَمْوَالِكُمْ أَلَيْسَ لِكُلِّ فِئَةٍ مِّنْكُمْ حَرْبُ الْآخَرِ} (هود: 7) ويتحقق حسن عمل المعروف عموماً ومنه الإنفاق بإخلاص النية وإجاده وإتقانه، وعدم إتباعه بالمنّ والعجب والرياء، وإخفائه إذا كان إعلان سبباً لهذه القبائح، وتعجيله قال تعالى: {فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ} (البقرة: 148) وقال تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفُورَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَوَجَّهْتُمْ لَهَا وَجْهًا السَّامِعَاتُ وَاللَّارِضُ} (أعدت لكم لئلا تتقرين) (آل عمران: 133) وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (تعجيل البر من

البر[9]، وقال (عليه السلام): (خير الأمور أعجلها عائدة وأحمدها عاقبة) [10] ، وقال (عليه السلام): (رأس السخاء تعجيل العطاء) [11] ووضع البدر في موضعه، وعدم الاكتفاء بالواجب ما دام المستحب متيسراً، واختيار المورد الأمثل والتوازن في الإنفاق بين الإفراط وهو الإسراف والتفريط وهو الإقتار كما نصت عليه آية الفرقان المتقدمة.

وهذا معنى جارٍ حتى في إنفاق النفس فإن التهور والاندفاع من دون حسابات صحيحة وخطط محكمة يجعله من موارد التهلكة ويحرم المسلمين من أحد عناصر القوة فيه، كما أن التفريط يتحقق بالجبن والانهازم والتخاذل عن أداء العمل المكلف به مما يضعف جبهة الحق، فالفعلان محرمان.

[1] - بحار الأنوار: ج ١ / ص ١٦٦.

[2] - بحار الأنوار: ج ٨٠ / ص ٣٦٩.

[3] - وسائل الشيعة: ج ٢٠ / الصفحة ٤٥.

[4] - أمالي الطوسي: ج 2 / ص 135.

[5] - الكافي: ج 2/ص 348/ج 4.

[6] - راجع تفسير هذا القبس في الجزء الثاني من تفسير (من نور القرآن).

[7] - بحار الأنوار: ج ٧٠ / ص ٢٤٦.

[8] - الكافي: ج ٥ / ص ٧٣.

[9] - غرر الحكم: ج 5033.

[10] - غرر الحكم: ج 5250.



